معركة هيميرا 480 ق م وبداية الصراع القرطاجي مع إغريق صقلية

✍ أ. مراد ريغي
أستاذ مساعد، جامعة المسيلة،
الجزائر

الملخص :

إنّ الحديث عن العلاقات القرطاجية الإغريقية في الفترة العتيقة والفترة الكلاسيكية يجعل كل دارس أو باحث في التاريخ يستوقفه أهم حدث في تلك المرحلة وهومعركة هيميرا 480 ق م. إكتسبت هذه المعركة أهميتها التاريخية لكونها حدثا مفصليا في تاريخ العلاقات بين قرطاجة وإغريق صقلية في الفترة الكلاسيكية،واعتبرتها كثير من الروايات القديمة والدراسات الحديثة من أبرز مراحل التوتر والصراع بين الطرفين،وعلى أنها صورة من صور الصراع الحضاري بين القرطاجيين والإغريق، إضافة إلى قيمتها التاريخية من حيث النتائج والإنعكاسات.لكن الدراسات الحديثة للعلاقات القرطاجية الإغريقية والمدعمة بالأبحاث الأثرية سمحت لنا الوقوف على حقيقة أنّ هذه العلاقات في الفترة العتيقة لم تشهد أي نوع من التوتر، وأنّ المعركة لم تكن سوى مرحلة من مراحل النزاع القرطاجي مع اغريق صقلية من أجل الحفاظ على المصالح. ومنه لا وجود لصراع حضاري بين القرطاجيين والإغريق.

Résumé:

Parler des relations entre les les Grecs et des Carthaginois dans la période Archaïque et classique rend chaque étudiant ou chercheur dans l'histoire marquer une événement le plus important dans cette période ‘Himera 480 av’. Cette bataille a gagné une importance historique pour être un événement charnière dans l'histoire des relations entre Carthage et les Grecs de Sicile à l'époque classique، et considéré comme beaucoup d'histoires anciennes et des études modernes des étapes les plus

importantes de tension et de conflit entre les deux parties، et comme une forme de conflit culturel entre les Carthaginois et les Grecs، en plus de la valeur historique de en termes de résultats et des conséquences . Mais des études récentes sur les relations grecs et carthaginois pris en charge la recherche archéologique nous a permis de se tenir sur le fait que ces relations dans la période antique n'a pas été témoin tout type de tension، Et que la bataille était seule étape du conflit carthaginoise avec les Grecs de Sicile، afin de maintenir l'intérêt، Et de là il n'existe pas de conflit civilisationnel entre les Carthaginois et les Grecs.

الكلمات المفتاحية : قرطاجة، الإغريق، هيميرا، هاميلكار، جيلون.

المقدمة :

شكل القرن الخامس قبل الميلاد مرحلة هامة من تاريخ قرطاجة العسكري في الحوض الغربي من البحر المتوسط وفي صقلية بالخصوص، ولعل أبرز الأحداث التي شهدها الثلث الأول من هذا القرن هو معركة هيميرا عام 480ق م التي جمعت بين القرطاجيين والإغريق.

إكتسبت هذه المعركة أهميتها التاريخية لكونها حدثا مفصليا في تاريخ العلاقات بين قرطاجة وإغريق صقلية في الفترة الكلاسيكية،واعتبرتها كثير من الروايات القديمة والدراسات الحديثة من أبرز مراحل التوتر والصراع بين الطرفين، إضافة إلى قيمتها التاريخية من حيث النتائج والإنعكاسات.

لكن هل يمكننا الحديث عن صراع قرطاجي إغريقي قبل هذه الفترة ؟

أثارت هذه المسألة كثيرا من النقاش وبخلاف الرأي السائد بأنّ الصراع يرجع إلى القرن السادس، هناك من المؤرخين من أقرّ بأنّ قرطاجة لم تكن العدو التقليدي للإغريق كما قدمتها النصوص القديمة المتشبعة بالأفكار الدعائية[1]، والتي أرادت أن تجعل من النزاع الذي جمع بين القرطاجيين والإغريق في صقلية بين 480 ق م إلى 275 ق م مؤشرا هاما لهذا الصراع. فقد عودتنا المصادر القديمة كما أشار قوتيه[2] (Gauthier) على أنّ الإغريق والفينيقيين في الفترة القديمة (Archaïque) كانوا أعداء،ويرى أنّ ما جاء به بيكار حول القوة العسكرية القرطاجية الدائمة في صقلية وما كانت تمثله من تهديد متواصل ضد الإغريق، إنما هي فكرة غير جديدة فقد مثلت

ما يمكن أن نسميه بالكلاسيكية بعدما طرحها المؤرخ ستيفان غزال (S.Gsell).ومن المؤكد أنه حتّ هذه الفترة الهامة والتي تم فيها تأسيس سيلينونت (حوالي 630ق م) لم يكن هناك أي أثر لصراع بين الإغريق والفينيقيين على الرغم من موقع سيلينونت في المنطقة الغربية تقريبا على نفس خط طول مدينة سيجاست Ségest.

ومنه يبدو أنّ العلاقات بين الفينيقيين والإغريق من تأسيس قرطاجة حتى القرن السادس طغى عليها الطابع السلمي لكن ما هي مؤشرات ذلك ؟

الإغريق كانت تربطهم علاقات مختلفة عبر التاريخ مع قرطاجة، فعلى مستوى التبادل التجاري وإن لم تقدم لنا المصادر الأدبية معلومات كافية فإن الشواهد الأثرية كانت غنية بحيث أسهمت في إبراز طابع التأثير القرطاجي الإغريقي.

وإذا كان ليس من الضروري أن يتوفر السلام حتى تكون علاقات إقتصادية وسياسية، فليس مانعا أيضا أن نجزم بأنّ القرطاجيين لم يتعرضوا لأي نوع من التهديد من أثينا التي كانت من أكبر وأقوى المدن الإغريقية.[3] وأهم ما يمكن ملاحظته حول طبيعة الصادرات بين القرطاجيين والإغريق رغم وفرتها إلا أنّ القرطاجية منها نادرا ما يمكن تمييزها مقابل الصادرات الإغريقية التي كانت أكثر وضوحا من خلال الأبحاث الأثرية والتي ترجعها إلى القرن السابع أو النصف الأول من القرن 6 ق م لتتواصل المبادلات التجارية بين الطرفين خلال القرن 5 ق م[4] ثم في النصف الثاني من القرن 4 ق م[5].وقد أكدت الأبحاث الأثرية على إرتفاع الواردات القرطاجية حيث شكّلت نسبة 96% من الخزف ذو اللون الأحمر قادمة من أثينا من مصابيح وكؤوس للشراب[6] واستمرت قرطاجة في إستيراد الخزف في القرن الثالث قبل الميلاد، وحتّ في إفريقيا ذات مرجعية أثينية مع تقنيات بونية[7]، فالفخار الإغريقي الكورنثي وجد في كل المقابر البونية في البحر الأبيض المتوسط وبشكل خاص في جزيرة صقلية[8].

هل إقتصرت العلاقات القرطاجية على الميدان التجاري فقط ؟

لقد كانت العلاقات السياسية بين القرطاجيين والإغريق حاضرة تقريبا في كل الأزمنة، بالخصوص في الربع الأخير من القرن الخامس قبل الميلاد، حتى وإن ورد عن ثيوكديديس[9] (Thucydide) مخطط الإغريقي السيبياد(Alcibiad)في قرطاج "سنبحر أولا إلى صقلية إذا كنّا قادرين على غزو الصقليين وبعدها الهيلينيين في

إيطاليا،عندها سنقرر مواجهة الأمبراطورية القرطاجية وقرطاجة نفسها " فذلك لا يفسر سوء العلاقات بين أثينا وقرطاجة لأن نفس المؤرخ[10] يروي حدثا هاما أكد فيه عن الطابع السلبي لتلك العلاقات، حيث طلبت أثينا عام 414 ق م من قرطاجة تقديم المساعدة لها في مواجهة سيراكوزة. ربما لأنّ أثينا كانت تدرك الخلاف الذي كان بين قرطاجة وسيراكوزة وقد يوحي أيضا أنّ قرطاجة مازالت تحتفظ بقوتها بعد إنهزامها في هيمرا عام 480 ق م.

أما على مستوى النشاط العسكري القرطاجي فلا تكاد الجيوش القرطاجية أن تخلو من المرتزقة الإغريق في مختلف مراحل النزاع القرطاجي مع سيراكوزة، ويعتبر مصدرنا الأول - ديودور الصقلي - لهذه المرحلة هو من أشار إلى الإستعمال المستمر للفرق الإغريقية من المرتزقة، فمنذ عام 409 ق م وخلال الحملة القرطاجية على سلينونت القائد القرطاجي هانيبال أدرج من بين الأجناس الأخرى التي شكلت جيشه المرتزقة الإغريق، وأيضا في عام 396 ق م عند محاصرته لموتيا مع هاميلكار وحتى في مواجهة القرطاجيين لتموليون عام 338 ق م.[11] وما يؤكد إستمرار العلاقات القرطاجية الإغريقية هو ذلك التواصل الإجتماعي الذي ساد لفترة غير، فعلى مستوى المصاهرة الزواج المختلط نجده قد تكرر في المجتمع القرطاجي[12]. ففي حديثه هيرودوت[13] عن معركة هيمرا ذكر بأنّ هاميلكار من أم سيراكوزية، وأشار أيضا تيت ليف[14] إلى الإغريقيين "هيبوقراط (Hippocrate) و إيبيسيد (Epicyde) ولدا في قرطاج، لكن الجد كان سيراكوزيا منفيا، ومع ذلك كانا قرطاجيان من جانب الأم " وجاء ذكرهما من خلال دورهما كوسيطين لعملية التحالف بين هانيبال وطاغية سيراكوزة .

لكن ماذا عن حملة بانتاثلوس 580 ق م ودوريوس عام 510 ق م ؟

حملة بانتاثلوس 580 ق م:

حاولت الروايات القديمة أن تجعل لمحاولات الإغريق في القرن 6 ق م لتأسيس مستوطنات في غرب صقلية صدا كبيرا، ومن الواجب عدم رؤية فقط الجانب السلبي لكلتا العمليتين كما أشار ڤوتيه (Gauthier)[15] وردت العملية الأولى لبانتاثلوس (Pantathlos) عند كل من ديودور الصقلي (V.9)[16]. وعند بوسينياس Paussanias (X.11.3.)[17]

يبدو أنّ المصادر الأدبية لم تذكر القرطاجيين في الحادثة حتى ديودور الصقلي لم يشر إلى الفينيقيين فقط بوسينياس (Paussanias) من جاء في روايته بأنهم أعداء، فالمرحلة إذا هي مسألة بين الإغريق والإليميين[18] وربما ما يجعل الفينقيين كطرف ثانوي في الحادثة ما اعتقد به ڤوتيه (Gauthier).[19]

حملة دوريوس عام 510 ق م :

كثير من المؤرخين من ضخّم العمليات العسكرية التي قام بها القائد القرطاجي ما لخوص (Malchus) بين 559 ق م - 529 ق م معتمدين على ما قدمه المؤرخ جيستان (Justin)، فقد جعلوا من ذلك مؤشرا على سياسة إمبريالية قرطاجية في صقلية، لكن كما أشار بوندي[20](Bondi بأن تدخل مالخوس يدخل في إطار هيمنة قرطاجة على المستعمرات الفينيقية. فالأرجح كما يضيف قوتيه[21] (Gauthier) أن يكون الهدف من هذه الحملة هو إخضاع قرطاجة للمدن الفينيقية ولا مناطق أخرى خارج هذه المدن. فالهدايا التي يتم إرسالها إلى صور هي دليل على دخول هذه المدن- موتيا، بانورموس- سولونت بطريقة غير مباشرة تحت السيادة القرطاجية.

إذا لا يمكن أن نتصور تحرشات قرطاجية ضد الإغريق في صقلية، وبذلك لم تكن سببا في الحملة التي قام بها دوريوس (Dorius) عام 510 ق م، ولم تكن هذه الحملة أيضا علاقة مع المواجهة الأولى 580 ق م، كما أشار قوتيه[22] (Gauthier) فهل كانت إذا هذه العمليات فردية؟

وردت حملة دوريوس (Dorius) عند هيرودوت[23] الذي روى نزول دوريوس وأتباعه الإسبرطيين في صقلية شمال موتيا بالقرب من رأس دريبانا (Drépane) وقتل من قبل الفينيقيين.

بعد الاطلاع على مختلف المصادر التي تناولت الحادثة رأى قوتيه[24] (Gauthier) بأنّ العدو الرئيسي للإغريق هم الإليميين (Elymes) وليس من مانع أن يكونوا من نظم المواجهة ضد الإغريق.يبدو إذا من خلال ما قدمته مختلف الدراسات الحديثة أنّ القرطاجيين لم يكن لهم دور أساسي في مواجهة بانتاثلوس

(Pentathlos) ودوريوس (Dorius) وبذلك لا يمكن إدراج هذه المرحلة من ضمن مراحل النزاع القرطاجي الإغريقي.

كيف كان المشهد السياسي في صقلية مع دخولها الفترة الكلاسيكية ؟

المشهد الطاغي في مختلف المدن الإغريقية في صقلية كان ظهور نظام الطغاة الدونيميد في جيلا (Gela) وسيراكوزة(Syracuse) وهيميرا (Hémira) وأجريجانت (Acragas)[25] ما أثر بشكل كبير على مختلف العلاقات في الجزيرة بين المدن الإغريقية من جهة وبين القرطاجيين الذين كان إستقرارهم في الجزء الغربي في موتيا (Motya)وسولونت (Solonte) وبانورموس (Panorms)حسب ما ورد عن المؤرخ الإغريقي ثيوكديديس (Thucydide)[26].

من بين المصادر الأولى التي أشارت إلى هذه الفترة هيرودوت[27] في كتابه التاريخ حيث ذكر أنّ جيلون (Gelon) ظهر بعد حكم هيبوكرات (Hippocrate) و أراد الدفاع عن أبنائه في مواجهة سكان جيلا الذين رفضوا الإعتراف بهم في مدينتهم، وبعد انتصارهم عليهم أخضع المدينة وأصبح حاكما فيها،و لم تنتهي طموحاته عند هذا الحد حيث تحين فرصة إنتشار الفوضى في سيراكوزة وسيطر على المدينة وحولها إلى عاصمة له بتاريخ 285ق م.

أمّا عن علاقته بالقرطاجيين في صقلية فقد سبق له أن قاد حملة عسكرية بين 491-490ق م ضد سكان سيجاست (Segest) والقرطاجيين إنتقاما لمقتل دوريوس، ولغرض تحرير الطرق التجارية التي كان يجني منها الإغريق الكثير من الأرباح[28] حيث ذكر هيرودوت[29] هذا الأمر في حديثه عن معركة سلاميس بين الفرس والإغريق عام 480 ق م، حين طلب الإغريق المساندة من جيلون لمواجهة الفرس فكان رده أنه هو نفسه قد سبق وأن طلب منهم المساعدة في مواجهته لسكان سيجاست والقرطاجيين ثأرا لمقتل دوريوس[30].

من الواضح إذا أنّ جيلون غير راض على الوجود القرطاجي في صقلية بإعتباره مهددا لمشروعه التوسعي في صقلية، وفي نفس الوقت القرطاجيون تأكدوا من خلال سياسة جيلون كطاغية في سيراكوزة،أنهم سيكونون ضحية هجومات حقيقية،أما حلفائهم في صقلية و حكام عدد هام من المدن الإغريقية في الجزيرة فكانوا بدورهم يتابعون التطور الرهيب لسياسةالطاغية العدوانية[31].

أصبحت صقلية مع مطلع عام 483 ق م تحتضن تحالفا بزعامة سيراكوزة ضمّ عدد كبير من المدن الإغريقية أما سيلينوس وهميرا كانتا من الموالين للمعسكر القرطاجي، ومسينا أصبحت محكومة من قبل أناكسيلاس (Anaxilas)، وأضحى بذلك الغرب والساحل الشمالى للجزيرة خارج سيطرة معسكر جيلون (Gelon) .هميرا في هذه الفترة أصبحت منطقة حيوية إستراتيجيا من ضمن المعسكر القرطاجي مع سيلينوس وعلى خلاف مع أجريجانت، ويبدو أنها أحالت دون تكوين جبهة أغريقية موحدة في الجزيرة[32].

ورد عن هيرودوت[33] أنّ تيريلوس (Térillius) طاغية هيميرا كان على علاقة جيدة مع هاميلكار(Hamilcar) بعد وفاة أخيه هدربعل (Hasdrabal) في سردينيا، وفي نفس الوقت أراد أناكسيلاس (Anaxilas) طاغية ريجيون أن يقيم تحالفا مع القرطاجيين وتيريلوس.

في عام 482 ق م بدأت تحرشات الطاغية ثيرون (THéron)على تريلوس وقام بظمّ هميرا إلى المعسكر الموالي لجيلون وسيراكوزة[34].

تعرض تيريلوس للطرد من مدينته من قبل ثيرون طاغية أجيرجانت (Acragas) مما دفعه إلى الإستنجاد بقرطاجة بدعم من أناكسيلاس الذي وضع أولاده كرهائن حتى يهاجم أعداءه في صقلية[35]، فشكل ذلك خطرا كبيرا على القرطاجيين الذين كانوا بدورهم على خلاف مع جيلون، وقد يكون مع ثيرون أيضا،ومن الممكن أنّ يكون القرطاجيون على دراية بأنّ إغريق الشرق لن يستطيعوا مساعدة إخوانهم في صقلية بحكم أنّ ملك الفرس إكسركس [36](Xerxés) يقوم في هذه الفترة بتحضيرات كبيرة من أجل القضاء على الإغريق الذين إنتصروا في معركة المراطون (Marathon) وكان بالنسبة لقرطاجة ثمن الإنتصار هو ليس فقط صقلية بخصوبتها بين حوضي البحر الداخلي بين إفريقيا وأوروبا بل الحوض الغربي للمتوسط بكامله[37].

ونتيجة لأهمية الأمر القرطاجيون عملوا على توفير قوة ليس فقط لمساعدة حلفائهم بل أيضا بإمكانها تهديد طاغية أجريجات والطاغية جيلون على السواء، ولذلك قاموا بمجهودات جبارة من أجل تحقيق الهدف[38].

إستغرقت التحضيرات ما يقارب ثلاث سنوات[39] .ربما السبب أصبح متوفرا عند القرطاجيين للحد من تحركات جيلون التي ولدت لديها الشك والريبة في نواياه تجاه الجزيرة[40] وعلى كل حال فإن قرطاجة في تدخلها في الصراعات الإغريقية الإغريقية إنما للحفاظ على وجودها في الجزيرة أو أن تصبح سيدة فيها[41].

الإستعداد للمعركة :

بدأ الطرفان في الإستعداد للمعركة،حاكم هميرا وأناكسيلاس حاكم ريجيون،والقرطاجيين بقيادة هاميلكار، حسب ما أشارت إليه المصادر القديمة جهزوا جيشا من القرطاجيين والليبيين والإيبيريين والسردينين والكورسيكيين،والايقوريين، وأجناس أخرى ذكرها هيرودوت بمجموع جيش 300.000 ألف جندي. من المؤكد أنّ هذا الرقم مبالغ فيه ولا يمكن أن يكون الجيش القرطاجي يتجاوز جيش جيلون وثيرون[42]، فليس من الغرابة أن ترد مثل هذه الارقام عند المؤلفين القدامى فأغلبهم أخطأ عند الإشارة إلى أعداد الجيوش الأخرى مقابل الجيوش الإغريقية بدافع تمجيدها، وبنفس الملاحظة حول تعداد السفن فالرقم 3000 سفينة لا يمكن قبوله .وعن قوات جيلون المصادر تذكر بأنها الأعظم في العالم الإغريقي بعد أثينا[43]، وقد أشار ديودور الصقلي[44] إلى هذه الجيوش " جيلون مع جيش مكون على الأقل من خمسين ألف من المشاة وخمسين ألف أخرى من الفرسان،وبعد مسيرة سريعة إقترب من مدينة هيميرا".

سير المعركة:

وعن أحداث المعركة يشير مصدرنا أنّ هاميلكار القائد القرطاجي رسى بسفنه في ميناء بانورموس (Panormos) قادما من ليبيا،ثم توجه نحو مدينة هيميرا أين عسكر بالقرب منها وأخضع سكانها، ثيرون بدوره بعث إلى جيلون يطلب النجدة، وفي المقابل هاميلكار إستفاد من مساعدة سيلينونت التي كانت في تحالف مع قرطاجة،، وبعد مناورة بعث جيلون جيشه من الفرسان السيراكوزيين فأضرموا النيران في السفن القرطاجية، ويضيف ديودور الصقلي[45] أنّ جنود جيلون إلتحقوا بالمعسكر وقتلوا هاميلكار، وأضرموا النيران في السفن. أمّا هيرودوت[46] فقد أشار أنّ المعركة دامت يوما كاملا،إنتهت بإنتصار جيلون وثيرون، وعن هاميلكار فقد رمى بنفسه في

النيران و إختفى حسب ما جاءت به رواية القرطاجيين . يبدو أنّ المعركة لم تخلوا من التفاصيل البلاغية وإن شهدت بدون شك إستعمالا كثيفا للأسلحة[47].

التحالف القرطاجي الفارسي نموذاجا للدعاية عند ديودور الصقلي :

هل كان التحالف القرطاجي الفارسي حقيقة تاريخية؟ يشير موسكاتي (Moscatti)[48] لأهمية الحدث "هنا أين تطرح إحدى المشاكل الأكثر أهمية في التاريخ القديم لأنّ مشكلة إثبات حقيقة التحالف القرطاجي الفارسي تبقى محل نقاش". يعتبر ديودور الصقلي[49] أبرز المؤرخين القدامى الذين أكدوا على التحالف بين القوتين في هيميرا وفي سلاميس بين الفرس والإغريق عام 480 ق م " في نفس هذه الفترة القرطاجيون الذين كانت لهم معاهدة عقدوها مع الفرس قاموا بالهجوم على الإغريق في صقلية." .وجدت هذه الأفكار من يتبناها من بين المؤرخين المحدثين، مؤكدين على أنّ قرطاجة كانت تدرك مخطط الملك الفارسي كسركس (Xerxe)، وقد يكون هذا التحالف لمنع حصول إغريقي الشرق على المساعدة وفي نفس الوقت منعهم من إرسال المساعدات لإغريق الغرب[50]، وورد عن بيار ليفاك (Léveque)[51] أنّ هذا التحالف ليس صدفة بل كان إتفاق بين قرطاجة والفرس، ولانسل (Lancel)[52] يرى أنّ العملية ليست مستبعدة لأنّ الفرس في هذه الفترة كانوا يسيطرون على فنيقيا، والإتفاق تمّ في هذه المرحلة ليربط قرطاجة بالملك الفارسي. لكن في المقابل هناك الكثير من المؤرخين من رفض أن يكون لهذه الفكرة أساسا تاريخيا[53] منهم من أرجع فكرة التحالف الفارسي القرطاجي إلى دعاية إغريقية، فموسكاتي[54] يضيف إلى أنّ المؤرخين المحدثين قد أخذو من دون شك من ما جاءت به المصادرالقديمة ويمكن إدراج ذلك ضمن التيار المعادي للبونية (Anti punique).

يطرح قوتيه [55] رافضا فكرة التحالف تسؤلا "هل يمكننا تقبل فكرة التحالف؟" ويرى أنه إذا سلمّنا بذلك يجب أن نفترض وجود مندوبين من الفرس في قرطاج، وذلك ما لايوجد على أرض الواقع،فقط كانت علاقات بسيطة.

إنّ ديودور وجيستان قد أخذا من إيفور(Ephor) و قدموا ذلك بأسلوب بلاغي الكل جاء بشكل متماثل :المبعوثين الإغريق إلى جيلون طاغية جيلا لطلب المساعدة في مواجهة الفرس ومبوعثين من الفرس إلى قرطاجة، إثنان من التحرشات و إنتصار

مضاعف للإغريق في يوم واحد، إنه من الضروري كما يشير قوتيه رفض هذه الرواية.وفي نفس السياق إستبعد دريدي (Hédi Dridi) [56] فكرة إرجاع معركة سلاميس ومعركة هميرا التي خاضهما الإغريق على أنهما من نتاج تصادم الحضارات، ففي الحقيقة إنها بعيدة أن تكون كذلك كما يشير نفس الباحث.

إذا فإنّ فكرة التحالف بين القرطاجيين والفرس بعيدة عن الحقيقة إستنادا إلى ما جاء به الفيلسوف أرسطو[57]Aristot " عندما تكلم عن فن التمثيل وبناء القصة مقارنا ذلك بالتاريخ حيث قال "الأحداث لها مجرد علاقة صدفة ببعضها البعض، مثل معركة سلاميس Salamis في نفس وقت حدوث معركة قرطاج في صقلية "،وحتى هيرودوت[58] لم يشر إلى التحالف عندما ذكر حدوث المعركتين في يوم واحد .

ومنه فإنّ ما كتبه ديودور الصقلي حول معركة هيميرا لا يخرج عن فكرة الدعاية للهيلينية (Héllinism) التي ظهرت عند المؤرخ إيفور الذي وصفها على أنها معركة للإغريق ضد القرطاجيين المتحالفين مع الفرس وهو تحالف البربربرية (La barbarie) ضد الإغريقية (La grécité)[59]. ومن الطبيعي أن ينتصر ديودور إلى سيراكوزة وإلى جيلون في هذه المعركة، ففي مجمل كتاباته حول النزاع القرطاجي الإغريقي نجده دائما يقحم فكرة أنّ القرطاجيين عدو مشترك للإغريق يجب مواجهتهم بإعتبارهم برابرة خشنون يميلون دائما إلى العنف وإستئصال الطرف الأخر[60]. فهو مرة أخرى وبداية من مرحلة تجدد النزاع القرطاجي الإغريقي عام 409 ق م في أجريجانت حتى نهايته عام 275 ق م بعد فترة الملك الإيبيري بيروس (Pyrrhus) يعمل على الترويج لهذه الفكرة التي وجدت من يتبناها حتى من بعض المصادر التي تناولت بعض مراحل هذا النزاع ومنهم بليتارك (Plutarque)في مؤلفه (Vies Parralléles des Hommes illustres) .

نتائج المعركة وإنعكاساتها :

حسب النصوص القديمة فإن الإنتصار كان حليف الإغريق في هذه المرحلة وقد تكون بعض العوامل وراء إنهزام قرطاجة هي:

- مباغتة جيلون للجيش القرطاجي .- تسرب بعض من فرق الجيش الإغريقي من وراء خطوط الدفاع القرطاجية.- إستغلال جيلون الرسالة التي كانت موجهة للقائد القرطاجي هاميلكار من أهالي سيلينونت وحولها إلى خدعة حربية[61].

على الإغريق :

1- لم يحدث إنتصار جيلون أي تغيير على مستوى توسيع نفوذه في صقلية، فثيرون حافظ على هميرا التي نصب عليها إبنه ثراسيدايوس (Thrasydaios)، وقد تكون سيراكوزة تريد إحداث نظام جديد على المستوى التجاري أي حرية التنقل عبر الموانئ.

2- الإنتصار المعنوي الشخصي الذي حققه جيلون.

3- إستغلال الدينومينيد الإنصار وإعتبروه تزكية من دلفي Delphe.

4- التطور في الميدان العمراني الذي شهدته بعض المدن الاغريقية في صقلية.[62]

على قرطاجة:

هل يمكن وصف إنعكاسات معركة هيميرا على قرطاجة بالكارثية ؟

ألفنا من خلال ما قدمته لنا كثير من الدراسات التاريخية الحديثة التي إهتمت بهذا النزاع القرطاجي الإغريقي على أنّ معركة هيميرا أحدثت فشلا كبيرا في قرطاج و كانت لها إنعكاسات سلبية على كل المستويات، ما جعل البعض يعتبر أنّ القرن الخامس قبل الميلاد فترة تراجع وتدهور بالنسبة للقرطاجيين،[63] لكن الأبحاث التاريخية والأثرية المعمقة غيرت من هذا الحكم فكانت النتائج على قرطاجة كالتالي:

1- قرطاجة رغم إنهزامها في مواجهة سيراكوزة إلا أنها أمضت سلما لكنه ليس مجحفا بدرجة كبيرة، فقد حافظت كما يبدو على تأثيرها في الأراضي التي كانت تابعة للفينيقيين.

2- على مستوى قرطاجة هذه المعركة لا يبدو أنها تعرضت لنتائج وخيمة، فقد حافظت قرطاجة على علاقاتها الخارجية وعلى شهرتها فعلاقاتها مع الإليميين في صقلية بقيت قائمة[64]

3- تواصلت علاقات قرطاجة التجارية حتىّ مع الإغريق في هذه الفترة الممتدة من 480 إلى 410 ق م وذلك ما أكدته الأبحاث الأثرية التي تمّت في العديد من المدن في صقلية[65]. وتوضيحا لهذا الرأي يضيف موسكاتي[66] على أنّ فترة الفراغ في القرن الخامس قبل الميلاد والتي كانت محل تساؤل حول قرطاج، فقد شكلت في الحقيقية مرحلة وقف للحروب مع الإغريق في صقلية ولم تكن لفترة قرن كامل بل هي فقط مدة 70سنة بين 480 و 409 ق التاريخ الذي أستانف فيه النزاع.وبذلك تكون قرطاجة قد أحسنت في ممارستها لسياسة الحياد أمام الصراع الذي إشتدّ بين المدن الاغريقية في صقلية[67]، فكانت بالفعل -بعد دراسة معمقة- هذه الفترة غنية بالأحداث في قرطاجة، فقد إستغلت ذلك في إحداث تغييرات على المستوى النظام السياسي والمؤسساتي، إضافة إلى جهودها في الميدان الإقتصادي والتجاري وحتى على مستوى معتقداتها الدينية، فيرتبط الأمر إذا بتحولات شاملة :

فعلى المستوى السياسي فقد تم نفي أبرز ممثلي الأسرة الماغونية، ولكن الأمر يرتبط بالأسرة التي ساهمت في أن تكون قرطاجة قوة في البحر المتوسط، وفي نفس الفترة الزمنية ربما قد تمّ تقليص فترة الحكام مع ظهور مجلس المائة لمراقبة الجهاز التنفيذي.

أما على المستوى الإقتصادي والتجاري فمن الواضح أنّ قرطاجة كانت ترغب كقوة إفريقية أن تعطي إهتماما بأراضيها الخاصة أكثر مما سبق، فتطوير الزراعة كان من بين سمات هذه المرحلة، كما توسيع مجال المبادلات التيجارية وتوسيع الملاحة القرطاجية التي شملت مناطقا واسعة: رحلة هاميلكون التي وصلت إلى سواحل الكورنوال ورحلة حنون التي أحاطت حول إفريقيا ووصلت إلى خليج غينيا. و لم يكن الجانب الديني بمعزل عن هذه التغيرات التي مست قرطاجة، فموازاة لبعل حمون الإله المشهور فقد تمّ إدراج الأله تانيت من ضمن المعتقدات البونية[68].

الخاتمة:

في النهاية إنّ تحليل علاقات الإغريق بالقرطاجيين من خلال المصادر الكلاسيكية الإغريقية،سمحت لنا الوقوف على حقيقة أنّ هذه المصادر كتبت بإيجابية عن الشعب الإغريقي مقابل تقديم القرطاجيين على أنهم أعداء لهم مولعون بالحرب، وهم في ذلك لا يخرجون عن فكرة الهيلينية (Héllinism) والإنتصار لشعوب الإغريق بالترويج لفكرة الصراع الحضاري بين القرطاجيين والإغريق وذلك ما لم تؤكده دراسات تاريخية حديثة. ومنه تبقى هذه النصوص محل شك ونقاش بين المؤرخين المحديثين خاصة في ضوء تطور الأبحاث الأثرية التي بات الإعتماد عليها أمرا ضروروريا .

الهوامش:

(1)- Manni Eugenio، «Sémites et Grecs en Sicile jusqu’au Ve siècle avant J-C. » *Bulletin de l’Association Guillaume Budé*. N°1 Mars. 1974 .P. 83.

حول آراء المؤرخين المحدثين أنظر:

Kallala ، «Nature et Enjeu du Comflit Grèco-Carthagianois de la fin du Vè siècle à la veille de l'invation de Pyrrhus »، *Acte du III Congrés Phéniciennes et Puniques.novembre.*1991 .

(2)- Gauthier Philippe، «Grecs et et phéniciens en Sicile pendant la période archaïque». *Revue Historique 222* ،Presse Universitaire de France،1966،p257.

(3)- Tahar Mohamed، Les grecs et Carthage. Histoire، représentation et idéologie، Les E'ditions Sahar، 2010، pp70-71.

أنظر أيضا رسالة الدكتوراه التي قدمها حول الموضوع:

Recherche sur Les Raports entre Carthage et Le Monde Grec (V[éme] siécle AV .j.C*)*،These pour obtenir le grade de Docteur ،Discipline et Sciences de L'Antiquité،2002.

(4)- Tsirkin، «The Economy of Carthage » in *studio phoenicia.VI. Carthago* ، Leuven، 1987،p 126.

(5)- Gilber et Collette Charles –Picard ، La vie quotidienne A Carthage au temps d'Hannibal III[e] Siécle avant Jésus –Christ،Hachette،1958.p.182.

(6)- Boucher Etiennette، «Céramique Archaïque Dimportation au Musée Lavigerie de Carthage » *Cahiers de Byrsa* ،1953.p.33. Tahar،op cit، p75.

(7)- Morel (J.P) ، «Campanienne (Céramique) » *Bracelets. Capraiense* ،N°11، 1992،pp 1720-1925.

(8)- Tusa (V)، «Greci e Punici» dans ،*Les Grecs et Loccideat Actes du Colloque de Villa «Kérylos»* ، 1991،p 24.

(9)- Thucydide، LaGuerre du Péloponnése. Trad Lasser(E).Garnier Fréres.Paris.1955، VI.34.1.2.

(10)- Thucydide،VI.88.6.

(11)- أنظر ديودور الصقلي المكتبة التاريخية. XVI،68-80.

(12)- Fantar ، «A propos de la Présence des Grecs a Carthage » *Antiquité africaines* ،34،1988.p 12.

(13)- Hérodote، Histoires،Trad.Legrand E.Les Belles lettre .Paris.1948،7،166.

(14)- Tite Live، Histoire Romain*e*.trad Nisard . 1864، 24.6.2-3

(15)- Gauthier،Op.Cit ، P263.

(16)- Diodore de Sicile،V.9.

[17]- Pausanias ، Description de la Grèce ،trad M.Clavier،paris،X.Phocide، 1821،11.3.

ذكر بوسنياس في حديثه عن الكنيد وقائدهم بانتاثلوس " إستقرّوا أولا في صقلية على أرض باشين Pachyne حيث أسسوا مدينة،بعدها طردوا من قبل الإليميين والفينيقيين، استولوا على جزر ما زالت الأن تحمل إسم جزر إيول Eole "

[18]- Bondi، « Carthage et les Peuples Autochtones de la Méditerranée : les relation avec les E'lymes »، *Colloque international organisie à Siliana et Tunis du 10 au 13 Mars 2004،2010*،p105.

(19)- Gauthier،Op.Cit، p 264.

[20]- Bondi، Op.Cit ، p105.

[21]- Gauthier، Op.Cit ،p267.

[22]- Gauthier، Op.Cit،p265.

[23]- Herodote، V.46.

وردت أيضا هذه الحملة عند بوسنياس (Pausanias) ولم يشير إلى الفينيقيين أو القرطاجيين " الألهة لم تكن بجانب دوريوس بن أناكساندريد (Anaxandrid) مثلما كانت بالنسبة لهرقل (Hercul) الذي قتل إركس في حين الإجستيين قضوا على دوريوس وعلى القسم الأكبر من جيشه " أنظر

:Pausanias،III.Laconie .XVI.

[24]- Gauthier، Op.Cit،p268.

[25]- الطغاة:،كثيرا ما وصلوا إلى الحكم بمساعدة الطبقات الجديدة التي كانت تخلقها الحروب الإستعمارية،فكان الطغاة يعملون على تحقيق أحلام أولائك الذين أوصلوهم إلى الحكم،كما كانوا سريعي النزوع إلى الإستبداد والتسلط. ليتمان روبرت التجربة الإغريقية،حركة الإستعمار والصراع الإجتماعي 800 -400 ق م، ترجمة كروان منيرة، المطابع الأميرية،1974،ص.53. L'eveque، La Sicile، Presse Universitaire de France،1966، p74.

[26]- Thucydide ، VI.2.

[27]- Herodote،7.155-156.Finley، La Sicile Antique des Origine a L'époque Byzantine. Trad.Calier Jeannie.Macula. Paris.1998.pp 62-63

[28]- Stefan GSEL ،Histoire ancienne De L'afrique Du Nord ،HachetteT I.p.432

[29]- Hérodote،7. 157.158 .

[30]- Véronique Krings.Carthage et Les Grecs 580-480 AV.J.C.Texte et Histoire. Leiden ‹Boston‹koln‹Brill‹1998 .pp79-80.

[31]- Warmington BH.Histoire et Civilisation De Carthage ‹Trad Guillemin.Payot Paris.1961 .p196.

[32]- David Asheri‹ « Carthagians and Greks »in .Persia‹Grece and The Western Mediterranean c.525 to 479 ‹Cambridje Ancient History.V.IV‹1988‹p. 769.

[33]- Herodote ،.7.165أشار هيرودوت أنّ هاميلكار القرطاجي فوجئ بالإستقبال والترحاب الذي وجده عند تريلوس

[34]- Asheri ،.OP.Cit. p771يمكننا أن نفسر تدخل قرطاج ونجدتها لهيميرا لأهمية العلالقات التجارية المتميزة معها، بحيث كان التجار القرطاجيون يقومون بدور الوسطاء بين هذه المدينة وتارتسوس، إضافة إلى كونها أقرب مدينة شمال المجال البوني بصقلية الذي بات مهددا بالإجتياح .أنظر:قلالة نبيل قرطاج قوة متوسطية . تونس عبر التاريخ .العصور القديمة.ج 1 ،مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية والإجتماعية تونس، 2007،ص 58

[35]- Hérodote‹ VII ‹165-167.

[36]- إكسركس(Xerxés): كان إمبراطر على فارس في الفترة بين 486-465ق م،هو الذي إجتاح بلاد الإغريق ودمّر أثينا،لكن أسطوله واجه هزيمة نكراء في سلاميس،فإنسحب إلى بلاده وهناك أغتيل على يد رئيس حرسه.ينظر :مكاوي.تاريخ العالم الإغريقي وحضارته .دار الرشاد الدار البيضاء، 1980،ص141.

[37]- Gsell‹H.A.A.N‹TI‹pp434-435.

[38]- Warmington‹Op.Cit.p63.

[39]- Gsel‹Loc.Cit.

[40]- سعد البركي .الصراع القرطاجي الإغريقي من القرن السادس حتى منتصف القرن الثالث ق م وأثره على الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية والدينية في قرطاجة .مجلس الثقافة العام،2008، ص 138.

[41]- krings‹ Op.Cit‹p314.

[42]- Asheri‹OpCit‹ p 773

[43]- Warmington‹Op.Cit.pp63-64

[44]- Diodore‹11.21.

[45]- Diodore .XI‹20-24.

(46)- Herodote، 7.167.

(47)- Asheri،Op.Cit ،p 773.

(48)- Moscati ، Lempire de Carthage، Paris،Méditerranée ،1966، p28

(49)- diodore،XI20-24.

(50)- Jhon V.A Fine، The ancient Greeks : A critical history.Harvard Universit.1983y.p299.

(51)- Lévèque Piere ، L'aveture greque ،Armand Colin .paris .1964. p.343.

(52)- Lancel Serge، Carthage.Fayad، 1992 ، p106.

(53)- Krings، Op.Cit،p 318.

(54)- Moscatti، The phoenician ، Tauris، 2001. p60.

(55)- Ghauthier Philippe،Op Cit، pp 257-274.

(56)- Dridi Hédi ، Carthage et le monde Punic ،belles lettres ،2006،pp.34-35.

(57)- Aristotle،Poetics،tr Joe Sachs ،Hackett Publishing Company،2006. 23(1459a) .

(58)- Herodote ،7.165-167.

(59)- Olivier Devillers، « Un portrait «césarien» de Gélon chez Diodore de Sicile (XI، 20-26) ». *L'antiquité classique*، Tome 67، 1998. pp151.152.

(60)- WIlliam Pillot « Les Carthaginois dans la Bibliothèque Historique de Diodore de Sicile. » *Τεκμήρια11* ،2012، pp51-71.

(61)- البركي . المرجع السابق . ص ص. 139-141.

(62)- Krings ،Op.Cit، p319.

(63)- Gilber ،Collette Charles Picard،OpCit. p.178.

(64)- Guzzo Maria Amadasi،Carthage ،presses Universitaire de France،2007،p.40.

(65)- Eugenio Manni، Op.Cit ، p81.

(66)- Moscati، L'empire...pp32.

(67)- Tahar Mouhamed ،Op.Cit،p53.

(68)- Moscati،Op .Cit. p65.